

نفحات القرآن

[347] انَّ استعداد الحيوانات للترويض مسألةٌ مهمةٌ للغاية. ومن اجل ادراك اهمية كلِّ نعمة، لا بد من تصوُّر الحالة التي تنحوُّ ل فيها الحيوانات الاليفة إلى حيوانات وحشية، "فالجملُ" يشنُّ هجماته كالفهد ويمزقُ الإنسان بفكيه القويتين، ويستخدم "البقرُ" قرنه، وتترفس الخيلُ بحوافرها مَنْ يقترب منها، حينها لا يمكن اعتبار هذا القطيع من الاغنام والابل والبقر اساسيَّ الوجود فحسب، بل وسنستعين بأية آية قاتلة من اجل الخلاص من شرِّها والقضاء عليها، وفي الوقت الحاضر أيضاً تغضب هذه الحيوانات الاليفة احياناً فتشكلُ خطورةً بالغة، فمثلاً تُلَاقِـنَ الفيلةُ الهنودَ دروساً، وتَشنُّ الجمالُ الغاضبة هجماتها على اصحابها، ومن الممكن ان تنتهي بالقضاء عليهم إذا ما غفلوا، وكأننا تعالى يريد أن يُبرهنَ على أن لو اردتُ سلبه أمرَ الطاعة والتسليم والخضوع فستَـروَنَ بايِّ صورة تظهر!، وقد عبَّر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة بتعابير مختلفة، فيقول احياناً: (وَدَلَّـلْنَاهَا لَهْمُ) (1) وحيناً يقول: (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهٗ مُقْرِنِينَ) (2). وقد اشار الإمام الصادق ((عليه السلام)) إلى هذه المسألة في توحيد المفضل، فيقول بعد بيان خلق الانعام: . . . "ثُمَّ مُنِعَتِ الذِّهْنَ والعَقْلَ لِتَذِلَّ لِلْإِنْسَانِ فَلَا تَمْتَدِّعَ عِلَـيْهِ إِذَا كَدَّهَا الْكَدُّ الشَّدِيدُ وَحَمَّـلَهَا الْحِمْلَ الثَّقِيلَ". (3) وبالطبع انَّ عدم امتلاكها للعقل جزءٌ من الدليل على تآلفها، علاوة على هذا انَّنا تعالى خَلَقَها بشكل تآلف فيه بسرعة وتبقى على هذا الحال إلى الابد، بينما نجد أنَّ بعضَ الحيوانات التي تماثلها في الذكاء والعقل (كالذئب والذئبور) إذا ما ألفت فيه مشقة وتكون مؤقتة، ومع ذلك يجب الحذر منها، و احياناً تفترسُ اصحابها _____ (1) يس الآية: 72. (2) الزخرف الآية: 13. (3) "توحيد المفضل" (بحار الانوار ج 3 ص 91).